

أهم الدول العربية إنما تعربت بفضل القرآن

بقلم الأستاذ مفتي محمد شفيع

مدير دار العلوم (كراتشي)

حتى غلبت على اهل هذه الامصار مسلمهم وكافرهم وهكذا كانت خراسان قديما ثم انهم تساهلوا في امر هذه اللغة واعتادوا الخطاب بالفارسية حتى غلبت عليهم وصارت العربية مهجورة عند كثير منهم ولا ريب ان هذا مكروه وانما الطريق الحسن اعتياد الخطاب بالعربية حتى تلقنها الصغار في الدور والمكاتب فيظهر شعار الاسلام واهله ويكون ذلك اسهل على اهل الاسلام في فقه معاني الكتاب والسنة وكلام السلف بخلاف من اعتاد لغة ثم اراد ان ينتقل الى اخرى فانه يصعب .

واعلم ان اعتماد اللغة العربية يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيرا قويا بينا ويؤثر ايضا في التشبه بصدر هذه الامة من الصحابة والتابعين واللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب فان فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم الا يفهم اللغة العربية وما لا يتم الواجب الا به فيؤبى واجب ثم منها ما هو واجب على الاعيان ومنها ما هو واجب على الكفاية وهذا معنى ما رواه ابو بكر : حدثنا عيسى ابن يونس عن ثور عن عمر بن يزيد قال كتب عمر الى ابي موسى رضى الله عنه اما بعد فتفقهوا في السنة وتفقهوا في العربية واعربوا القرآن فانه عربى

اقتضاء الصراط المستقيم - طبع مصر ص 98)

انى كلما فكرت في امر انتشار الاسلام واللغة العربية في انحاء العالم وجدت بينهما ارتباطا قوميا وسر هذا الارتباط هو ان العربية هي اللغة التي نزل بها القرآن ، وقد انتشرت تبعا لانتشار القرآن في كل قطر من اقطار العالم فمنها ما غلبت عليه لغة القرآن فصارت الالسنة المحلية مهجورة كمصر والشام والعراق التي غلبت على اهلها اللغة العربية فأصبحت البلاد تسمى ببلاد العروبة ، ومنها ما لم تبلغ فيها هذا المبلغ ولكنها نالت لدى عوام المسلمين مكانة خاصة وحظوة اكيدة، فكلمنا ازداد التمسك بالقرآن ازداد التعلق بلغة القرآن، فهذا الحافظ الامام ابن تيمية يقول في كتابه « اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة اصحاب الجحيم » ما نصه :

« اما اعتماد الخطاب بغير العربية التى هى شعار الاسلام ولغة القرآن حتى يصير ذلك عبادة للعصر واهله ولاهل الدار وللرجل مع صاحبه ولاهل السوق والامراء او لاهل الديوان او لاهل الفقه فلا ريب ان هذا مكروه فانه من التشبه بالاعاجم وهو مكروه كما تقدم ولهذا كان المسلمون المتقدمون لما سكنوا ارض الشام ومصر ولغة اهلها رومية وارض العراق وخراسان ولغة اهلها فارسية واهل الغرب ولغة اهلها بربرية عودوا اهل هذه البلاد العربية

فعلم مما وصفنا ان انتشار اللغة العربية وحسن قبولها فى انحاء العالم انما جاء لكونها لغة القرآن ولولا القرآن ما عمت هذه اللغة فى كثير من الممالك العربية .

ولكن لا نرى ان القرآن لو نزل بغير العربية لم يبلغ حسن قبوله وانتشاره هذا المبلغ فان الله سبحانه وتعالى قد تكفل بحفظه وابلغته ونشره ولا يمكن ان يحول دون قصده ومشيتته حائل ولنعم ما قيل :

ان المقادير اذا ساعدت الحقت العاجز بالقادر

واما تأثير الفكر الاسلامى عن طريق لغة القرآن فى اللهجات واللغات الاقليمية فى الاقطار غير العربية فقد اتضح ذلك مما ذكرنا من كلام الامام ابن تيمية وهو الحق والصواب فيما نرى والتجارب شاهدة عليه .

ونؤكد هنا اننا نقصد باللغة العربية لغة القرآن لا اللغة العامية التى راجت وشاعت اليوم فى عامة البلاد العربية والمؤسف ان اخواننا العرب تهاونوا فى

ترك لغة القرآن الى لغة ليس لها اى صلة بالقرآن ولا فضل لها على غيرها من اللغات العجمية .

وارى ان اعداء الاسلام لهم دسائس خفية فى ترويج اللغة العامية وهم اليوم قد اخذوا يؤلفون معاجم فى اللغة العربية على منهج العامية ويذكرون فيها معاني الفاظ القرآن على العرف العام اليوم خلاف ما نزل به القرآن والمسلمون عن ذلك غافلون حتى ان علماءهم يروجون هذه اللغة العامية الجديدة فى مدارسهم وهى من اسباب تحريف القرآن ؛ فالى الله المشتكى .

ونرى ان السعي فى تدريج هذه اللغة العامية فى البلاد لاحظ له من القرآن والاسلام ولا من الفكر الاسلامى فى شىء الا ان يرجعوا الى لغة القرآن فى مخاطباتهم ومقالاتهم ومكاتباتهم

واما المكائنة التى يجب ان تحتلها العربية فى بلاد باكستان بالنسبة الى اللغات الاجنبية فهى تزيد بحسب ازدياد الروح الاسلامى فى باكستان فانها دولة جديدة اساسها الدين والاسلام فعلىنا اهل باكستان ان نعتنى باللغة العربية اشد الاعتناء والله الموفق والمعين .

